Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما سنرى ، والروايات تتفق أيضا على تمتعها بجمال ملحوظ جعل دريد بن الصمة فارس بنى جشم من ثقيف يفتن بها حين رآها وهى تهنأ بعض إبلها فى المرعى بما كانوا يدهنون به البعير الأجرب ، فأصر على أن يخطبها من أبيها ، ولعله كان يقدر فى نفسه أنه مهما يكن من شيخوخته فما من فتاة إلا وتمتلئ زهوا بأن يخطبها فارس يعده قومه أسطورة من أساطير الحرب والبطولة ، وأنه ما من أب لفتاة وإلا ويمتلئ فخرا بأن يخطبها إليه دريد بن الصمة ، ولم يخب ظن دريد فى أبيها ، فقد رحب من جانبه بخطبة دريد كل ترحيب ، ولكن ظنه خاب كل الخيبة فى الخنساء ، وأول هذه الخيبة أن أباها لم يكن ليقطع فى شأنها أمرًا دون الرجوع إليها ، وأن ذلك لم يكن عادة الآباء فى تزويج بناتهم وإنما هو أمر تنفرد به الخنساء ، لما لها من اعتداد بذاتها ورأيها ، ويعبر أبوها عن ذلك بقوله لدريد (مرحبا بك أبا قرة ، إنك للكريم لا يطعن فى حسبه ، والسيد لا يرد عن حاجته ، والفحل لا يقرع أنفه ، ولكن لهذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها . وأنا ذاكرك لها ، وهى فاعلة) يعنى أنه لا يشك فى أنها سترحب بدريد ، ولكن الإشكال أنها هى دون غيرها لا يقطع أحد ولو كان أباها فى أمرها شيئا دون إذنها ، ثم دخل إليها وقال : يا خنساء ، أتاك فارس هوازن ، وسيد بنى جشم ، دريد بن الصمة يخطبك . وهو من تعلمين .. ، وإذا هى ترد قائلة : يا أبت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح ، وناكحة شيخ بنى جشم ، هامة اليوم أو غد ؟

ونستنتج من هذا الموقف نتيجتين واضحتين ، كلتاهما تعنينا فى دراسة مطالعها إحداهما اعتدادها بنفسها اعتدادًا غير مألوف ، والأخرى اعتدادها أيضاً بقومها اعتدادًا غير مألوف بهذه الدرجة لدى الفتاة فى موقف الزواج . فإن الفتاة عادة تكون فى مخيلتها صورة معينة لمن تتخيله زوجاً لها ، وهى صورة شخصية فى خيالها لشخص واحد قد لا يكون معروفاً لها ، ولكن صفاته محددة فى خيالها ، أما الخنساء فإنها لا تشير إلى شخص محدد ، ولا إلى صفات معينة ، وإنما هى مفتونة بقومها الذين تعبر عنهم ببنى عمها ، ووصف عوالى الرماح لا تجعله صفة ولا شرطا فيمن تريده زوجا . وإنما تسوقه مساق المدح لفتيان قومها ، والتعريض بشيخوخة دريد .

وحين نتحدث عن اعتداد أى فتاة بنفسها ، وخصوصا فى موقف الزواج فلا بد ن يكون شعورها بجمالها هو العنصر الأول فى هذا الاعتداد ، وهذا مما لا يشك فى أن